العلوم عند العرب

(تابع لما في الجزء الخامس)

وممن اشتهر من المنجمين بعد اولئك ابو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحرّاني الصابي المعروف بالبتّاني نسبةً الى بتّان ناحيةٍ من اعمال حرّان وهو صاحب الزيج المعروف بالصابي اثبت فيهِ مواقع الكواكب لسنة ٢٩٩ للهجرة ولهذا الزيج نسخةٌ اليوم في الواتيكان . ومن اعمالهِ تصحيح حساب مبادرة الاعتدالين وقد جعلها درجةً لكل ٦٦ سنة اي نحو ٥٤ً و ٣٢ً ً لكل سنة وهي اكثر من المتفق عليهِ اليوم باربع ثوانٍ ونصف وكان الذين قبلهُ يجعلونها درجة لكل مئة سنة فيكون الدور الاكبر عندهم ٣٦ الف سنة . وكان البتّاني يرصد في الرَقّة على الفرات وموقعها على ٣٦° من العرض الشمالي وبمقتضى رصدهِ وجد ان ميل دائرة البروج يكون ٢٣° و ٣٥َ وباضافة ٤٤ً للانكسار واسقاط ٣ً للاختلاف الافقي وجد لالَند ان الميل المذكور لعهدهِ يكون ٢٣° و ٣٥َ و ٤١ً . وحسب مباينة فلك الارض فكانت على حسابهِ ٠٣٤٦٥، وهي نحوِ ضعفي الحقيقة . وهو الذي اكتشف انتقال نقطتيَ الرأس والذنب قيل وهو اول من استبدل اوتار القسيّ بالجيوب في قياس المثلثات والزوايا على ما اثبت استعمالهُ في كتابهِ علم النجوم ولهُ غير ذلك مما لا نطيل باستيفائهِ

ومنهم ابو الحسين عبد الرحمن بن عُمر الصوفي الرازي وكان متصلاً بعَضُد الدولة بن بُويه ومن مصنفاتهِ كتاب الصور السماوية وجدولٌ لمطالع

الثوابت وميلها ولهـذا الجدول منزلةٌ رفيعة عند علمآء هذا العصر يرجعون اليهِ في مقابلة مواقع الكواكب وتحقيق حركاتها الى هذا اليوم

ومنهم ابو الوفآء محمد بن محمد بن يحيي البوزجاني من اهل القرن الرابع وهو اول من استخدم المماسّات والقواطع ونظائرها في قياس المثلثات والزوايا ولهُ جداول للمماسّات ونظائرها وتصنيفٌ في استخراج الاوتار ولهُ شرح على كتاب ديوفنطس في الجبر والمقابلة على ما ذكرهُ ابو الفرج وقيل هو الذي وضع معادلة السرعة لتقويم مواقع القمر في حركتي اقبالهِ وادبارهِ ولهُ الزيج المعروف بالشامل وهو الذي شرحهُ علآء الدين القوشي وسماهُ بالكامل

ومنهم الحسن بن الحسن بن الهيثم المعروف بالخازن ومن تآليفهِ كتابٌ في الشفق والفجر عين حدّ كلٍّ منهما وقت بلوغ الشمس ١٩° تحت الافق وحسب علوّ الهوآء ٥١٫٨ ميلاً وقد حسب محيط الارض ٢٤ الف ميل . ولهُ كتابٌ في المناظر (البصريات) اوضح فيهِ كيفية انكسار النور في الهوآء وكميتهُ وذكر كثيراً من احكام الانكسار منهـا انهُ يزيد في ارتفاع الاجرام السماوية في الظاهر واننا بهِ نرى الاجرام فوق الافق وهي تحتهُ .وفي كتابهِ هذا حل المسئلة المشهورة بمسئلة الخازن وهي انهُ في اي نقطةٍ من المرآة المقعرة ينبغي ان يقع الشعاع الآتي من جهـةٍ مفروضة حتى ينعكس الى نقطةٍ مفروضة

ومنهم ابو الحسن عليّ بن ابي سعيد بن يونس الصدفيّ المصريّ من اهل القرن الرابع وهو صاحب الزيج الكبير المعروف بالزيج الحاكمي قال ابن خلّكان رأيتهُ في اربع مجلدات بسط القول والعمل فيهِ وما اقصر في

تحريرهِ ولم أرَ في الازياج على كثرتها اطول منهُ وذُكر ان الذي امرهُ بعملهِ وابتداهُ لهُ العزيز ابو الحاكم صاحب مصر

ومن مشاهير المتأخرين نصير الدين محمد بن حسن الطوسي من اهل القرن السابع للهجرة وهو صاحب الزيج المعروف بالخاني وضعهُ في مرصد مراغة من اذربيجان بامر هولاكو خان التتر سنة ٦٥٧

ومن معاصريهِ عماد الدين ابو يحيي زكريا بن محمد الأنصاري القزويني صاحب كتاب عجائب المخلوقات ذكر فيهِ الصور السماوية واسماء البروج والمنازل مع اسماء اشهر الكواكب ومطالعها الا انهُ اعتمد في توقيت المطالع على ما اثبتهُ بطلميوس نقلاً عن هيپرخوس (سنة ١٤٠ ق م) وكذلك فعل أُلغ بك من بعدهِ في زيجهِ المشهور ومع ان امر المبادرة كان معلوماً عندهم على ما مرّ بك فلم يتفطنوا لما يلزم عنها من تبدّل اوقات المطالع وما يتصل بها مما سنفرد لهُ فصلاً مخصوصاً ان شاء الله

هؤلاء اشهر من يُذكَر من علماء الهيئة في المشرق وقد كان معظمهم على عهد الدولة العباسية كغيرهم من اصحاب سائر العلوم الاسلامية فلما وهت اركان هذه الدولة مالت معها دعائم العلم حتى اندرست معالمهُ بزوالها ثم لم يأتِ بعدها من اغنى غناءها فكانت هي حياة العلم نشأ بها ومات معها فعاد كأن لم يغنَ بالامس

اما في الغرب فمع كثرة ما كان في بلاد الاندلس من المدارس والمكاتب ومن نبغ فيها من العلماء والمصنفين فقد ذهبت آثار ذلك كلهِ ولم يبقَ عندنا ما يُعرَف منهُ الا الشيء اليسير . فمن اشهر من يُذكر من

الاندلسيين ابرهيم بن ارزاحيل الاسرائيلي من اهل طُلَيطلة من رجال القرن الخامس للهجرة وهو فيما ذكر بعضهم صاحب الازياج الطُلَيطلية. ومما يؤثر عنهُ انهُ باشر عدة رصود لتحقيق نقطتي الرأس والذنب من فلك الارض وتحرير مقدار المبادرة السنوية وقد ظهر لهُ ان هذه المبادرة تكون ما بين ٤٩ ½ و ٥٠ في السنة وهو قريبٌ مما حققهُ المتاخرون

ومنهم جابر بن افلح الاشبيلي جاء بعد ابن ارزاحيل بزمنٍ يسير اختصر كتاب المجسطى لبطلميوس واوضح مغازيهُ واستوفى ادلَّتهُ وتعقبهُ في كثيرٍ من المسائل فكان كتابهُ بالتخطئة اشبه منهُ بالاختصار

وممن اشتغلوا بالهيئة من علماء الاندلس ابو الوليد محمد بن رشد القرطُبيّ الفيلسوف الشهير ولهُ اختصارٌ للمجسطى قيل وهو اول من تنبه للسُفع على وجه الشمس وكتب عنها

ومنهم ابو القاسم اصبغ بن السمح وكان بارعاً في النجوم والهندسة ولهُ تآليف منها كتابٌ كبير في الهندسة وزيجٌ على مذهب الهند المعروف بالسند هند. ومنهم ابو القاسم بن الصفّار وابو مسلم بن خلدون وابو الحسن مختار الرُعَيني ومحمد بن الليث وغيرهم ممن اشتهروا لوقتهم ولم يصل الينا الا اسماؤهم

وكان لاكثر هؤلاء الاعلام قدمٌ راسخة في الهندسة والمساحة والجبر وسائر الفروع الرياضية وقد مرّ ذكر شيء من آثارهم في هذه العلوم. وكان من اشهرهم في الهندسة ابو الوفاء البوزجاني المقدم ذكرهُ قال ابن خلكان ولهُ في هذا العلم استخراجاتٌ غريبة لم يُسبق اليها وكان العلاّمة كمال الدين

ابو الفتح موسى بن يونس وهو القيّم بهذا الفن يبالغ في وصف كتبهِ ويعتمد عليها في اكثر مطالعاتهِ ويحتجّ بما يقولهُ • وممن اشتهر في الجبر والمقابلة ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي وهو اول من صنف فيهِ من العرب على ما سبق ذكرهُ • وصنف بعدهُ ابو كامل شجاع بن أسلم كتابهُ الشامل قال في كشف الظنون وهو من احسن الكتب ومن احسن شروحهِ شرح القرشي • واول من كتب في علم الحِيَل (الميكانيك) قسطا بن لوقا البعلبكي المقدم ذكرهُ لهُ فيهِ ثلاث مقالات عرّبها عن اليونانية • وممن اشتهر في هذا الفن ابناء موسى بن شاكر المذكورون قبل وهم محمد واحمد والحسن قال ابن خلكان وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحِيَل والحركات والموسيقى والنجوم وهو الاقلّ ولهم في الحيل كتابٌ عجيبٌ نادر يشتمل على كل غريبة • اه ولمحمد منهم مصنفٌ في المسطَّحات والكرويات • وللفرغاني مؤلفٌ في علم تسطيح الكرة سماهُ الكامل وممن الف فيهِ ايضاً البيروني وتقيّ الدين وغيرهُ • ويقال ان العرب هم اول من اكتشف حركة الرقاص قالهُ ادورد برنرد احد علماء المشرقيات من الانكليز من اهل القرن السابع عشر وذكر الدكتور توماس يُونْغ ان ابن يونس كان يستعين بهِ في قياس الوقت • وجاء في نفح الطيب عن عباس بن فرناس انهُ اول من استنبط صناعة الزجاج من الحجارة وصنع الآلة المعروفة بالمثقال ليعرف الاوقات على غير رسمٍ ومثال • اه • والظاهر ان المراد بالمثقال هو الرقاص والله اعلم

(ستأتي البقية

اسرار العين

وردتنا المقالة الآتية من حضرة اللوذعيّ الاديب اسكندر افندي مشاقة من موظفي قلم قضايا الداخلية فاثبتناها بنصّها الشائق قال

قرأت في احدى الجرائد الفرنسوية مقالةً ذكّرتني ما قرأتهُ عن اسرار العين في الجزء الرابع والعشرين من السنة الاولى من ضيائكم الزاهر غير اني وجدت فيها من طرائف البحث ما لا يقلّ غرابةً واشكالاً عن الحوادث الطبيعية التي ذكرتموها هناك فاحببت اعرّبها واطرف بها قرآء مجلتكم الغرآء وفي يقيني انها مع ما فيها من الفكاهة لا تخلو من الفائدة بتنبيه الافكار الى مثل هذه المباحث والوقوف على ما يمكن كشفهُ من غوامض اسرارها وانا ارجو من حضرات اطبآئنا وعلمآئنا ان يعيروها جانب الاصغآء ثم ان يجودوا علينا بما يبدو لهم من تعليلها خدمةً للعلم وافادةً للجمهور

وقبل ان اشرع في سرد التعريب تأذنون لي ان استمدّ من فضل علمكم وضع كلمةٍ تعذَّر عليَّ وجودها في لغتنا وهي اللفظة التي نعبر بها عن الآلة المعروفة « بالكليوتين » التي يستخدمها الافرنج لقطع العنق فان هذه الآلة لم تكن معروفةً عند العرب بل لم توجد الا منذ عهدٍ قريب اي منذ اوائل القرن السادس عشر ولم تستعملها الحكومات الا منذ اواخر القرن الماضي فبالطبع لم يكن لها اسمٌ عندهم وقد تركت موضعها خالياً لتضعوا لها اللفظة التي تجدونها موافقة . وهذا تعريب المقالة اسوقهُ بالاختصار اللائق

اجتمع بعض اطبآء باريز ذات يومٍ في منزل طبيبٍ منهم دعاهم

لتناول الطعام عندهُ وكان عدد المدعوين نحو الثلاثين من نخبة اطباء تلك العاصمة وبعد ان فرغوا من الطعام وجلسوا للحديث اخذوا يتجاذبون اطراف البحث فيما يتعلق بشؤون صناعتهم فافضى بهم السياق الى ذكر ما يعرض احياناً من غرائب الحوادث التي تخفى اسبابها وتشكل وجوه تشخيصها وفي جملة ذلك تعليل ما يبقى احياناً في عيني الشخص بعد وفاتهِ من صورة انسانٍ او شبحٍ آخر وقع تحت بصرهِ حين الوفاة

فاخذ كلٌّ من هؤلاء الاطباء يذكر ما اتفق لهُ العثور عليهِ من مثل ذلك بالمعاينة او بالمطالعة فروى المسيو مونجلان جملة حوادث من هذا القبيل كان بعضها وسيلة للقضاة استدلوا بها على معرفة القاتل من مرأى صورتهِ في عيني المقتول وشرح من علة بقاء هذه الصورة في العين ان القاتل حين انقضاضهِ على المقتول يكون في هيئةٍ مخيفة اشبه بهيئة الوحش الضاري فيؤثر منظرهُ في نفس المقتول اثراً ينطبع في حدقتيهِ انطباعاً راسخاً يبقى الى ما بعد الموت . وتكلم المسيو بروسان فأيد مقالة سابقهِ واستشهد عليها بانهُ كثيراً ما رؤي في عيني من قُطع رأسهُ بالمِقصلة (١) صورة هذه الآلة المخيفة ظاهرةً في انسان العين . وتلاهُ المسيو كوباليه فذكر انهُ نظر مرةً في عيني ميتٍ من اصحاب الثروة كان على جانبٍ عظيم من البخل فرأى فيهما

---

(١) هي الكلمة التي اخترناها للآلة المذكورة اي الكليوتين من قولهم قصلهُ اذا قطعهُ قطعاً وحياً اي سريعاً وربما خص بقطع العنق كما ذكرهُ في لسان العرب عن اللحياني وهو الذي نص عليه الثعالبي في فقه اللغة . ومن غريب ما يذكر هنا ان هذه الآلة اول ما اطلق عليها لفظ «منايا» وهي كلمة طليانية لانها اول ما اخترعت في ايطاليا ولولا الالتباس لكان هذا اللفظ اليق ما تسمى بهِ

صورة صُبرةٍ من النقود كانت بين يديهِ حين الوفاة ورأى في عيني راهب بعد موتهِ صورة صليبٍ كان يقبّلهُ وينظر اليهِ حال مفارقة الروح للجسد

وعند ذلك تكلم المسيو ڤارنال الشهير فقال ان كل ما ذكرهُ رصفآؤنا في هذا الصدد هو من الامور التي لا يبعد تعليلها لحضور العامل المحسوس المؤثر اشدّ التأثير على آخر نظرةٍ من الميت مع وجودهِ اذ ذاك على غير الحالة الطبيعية اعني حالة الفزع الشديد او البغض المفرط او الحب المتناهي فلا غرو ان تنطبع في عينيهِ الصورة التي تكون حاملةً لاحد هذه المعاني وتبقى الى ما بعد الممات • ولكني سأقصّ عليكم ما هو اغرب من هذه الحوادث كلها وابعد تعليلاً وهو من الحوادث التي شاهدتها عياناً والتي يثبت منها ان مثل ذلك قد يتم بدون حضور المؤثر المحسوس فاني نظرت في حدقتي شخصٍ قد فُصل رأسهُ عن جسمهِ بالمقصلة فرأيت فيهما صورة انسانٍ لم يكن امام عينيهِ حين القتل • ثم اخذ يقص عليهم خبر ذلك الشخص فروى قصةً طويلة الخصها هنا بقدر الامكان قال

دُعيت في شهر ستمبر من سنة ـ ١٨٩ من قِبَل القضآء لافحص حالة رجل يدعى ادوار أُتهم بجنايةٍ فظيعة وهي قتل امرأةٍ كهلة من بيتٍ شريف كانت مقيمةً وحدها في منزلهـا تعيش من ريع املاكها • وذلك انهُ بعد حدوث القتل بمدةٍ وقع تحت ايدي رجال الضبط قطعة من حلى المرأة المقتولة كانت في يد فتـاةٍ تسمى ادما لاري وكانت ادما هذه مساكنةً لادوار المذكور منذ سنتين فوقعت شبهة القتل عليهِ وقُبِض عليهِ مع ادما فأقرّ ادوار بفعلتهِ دون تردُّد ونفى مشاركة ادما لهُ في الجرم • فلما سمع القاضي

منهُ هذا الاقرار ظنّ ان بهِ اختلالاً في العقل ودعاني لفحصهِ فتوجهت اليهِ ودخلت محبسهُ واذا هو فتىً في نحو الثانية والعشرين من عمرهِ ذو منظرٍ يدل على الرزانة والفطنة عصبيّ المزاج صحيح الجسم قويّ البنية لا يظهر عليهِ ادنى علامة تدلّ على الجنون وكانت عيناهُ زرقاوين لا شيء فيهما من الحدّة التي تدل على اختلال العقل سوى اني وجدتهُ مضطرب الافكار. وبعد ان فحصت حالتهُ وهو لا يمانعني في شيء ويجيبني بكل دعةٍ وتعقل اخذ يقنعني بانهُ على تمام العقل وصحة الادراك ولا يريد ان تتخذ تهمة الجنون ذريعةً لنجاتهِ من العقاب وانهُ عند ارتكاب الجريمة لم يكن على شيء من التهييج العصبي ولكنهُ قتل وسرق وهو على بصيرةٍ تامة وانما فعل ذلك لامرٍ دفعهُ الى اجترام هذا الاثم الفظيع وهو شغفهُ بحب فتاةٍ يقال لها ادما لاري وخوفهُ ان تفوتهُ اذا لم يعجل في كسب ما يمكّنهُ من احتيازها. ثم اخذ يبرهن لي على نفي الجنون عن نفسهِ بكل ما استطاع ويقنعني بان الفتاة لا علم لها بشيء مما صنع واخذ يصف من شدة تعلقهِ بادما وكلفهِ بحبها ما لا وصف فوقهُ

وقد رأيت ادما بعد ذلك فكانت شابَّةً تبلغ الثامنة عشرة من العمر جميلة الطلعة بيضاء اللون ذهبية الشعر تدل ملامحها على سلامة القلب ولين العريكة وحالما ابصرتها تذكرت محبها وعذرتهُ فيما رأيت من تفانيهِ في حبها

ولما كان اليوم المعين للنظر في الدعوى اقرّ ادوار امام القضاة بكل ما فعل بالتفصيل دون ان يذكر السبب الذي دفعهُ الى هذا الفعل ولما لم يبقَ وجهٌ لتبرئتهِ ولا لمعذرتهِ فيما صنع صدر الحكم قاضياً عليهِ بالقتل

قال وجعلت اتردد عليهِ مدة الشهر الذي كان بين صدور الحكم وموعد

تنفيذهِ واجتهد في تعزيته فكان لا يحدثني الا بحديث محبوبتهِ ادما وذكر ايامهِ معها واسفهِ لفراقها . ولما أزف يوم الموعد رغب اليَّ اشدّ الرغبة ان افحص دماغهُ بعد موتهِ لاتيقن انهُ لم يأت ما اتى عن اختلال في العقل . ولما قِيدَ الى المِقصلة رأيتهُ يمشي وعيناهُ الى السماء كانهُ يناجي شخصاً غائباً قد تمثلهُ في خاطرهِ وهو غير منتبهٍ الى ما حولهُ حتى اذا بلغ المقصلة التى بجسمهِ عليها وللحال سقط السلاح فانفجر الدم من بين كتفيهِ وسقط رأسهُ في الاناء المعدّ لذلك . وبعد ساعتين جاءوني بالرأس فلما اخذتهُ لافحصهُ ووقع نظري على ذلك الوجه الفاقد الاحساس شعرت بجمود دمي في عروقي لاني نظرت في بؤبؤ عينيهِ الجامدتين وكانتا مفتوحتين فرأيت صورةً ظاهرة جلية فتأملتها واذا هي صورة ادما بعينها لا ينقص شيءٌ من محاسن وجهها ولون عينيها وشعرها وان هذه المعجزة التي احسبها من معجزات الحب اثرت فيَّ تأثيراً شديداً حتى لم املك عبرتي من الانهمال . فاطبقتُ عينَي ذلك الرأس اللتين اختارتا الموت واستصحبتا رسم من احبتّا النظر اليهِ حتى لا تفقداهُ بعد الموت وانا مذ ذاك لا يمرّ بي يومٌ الا اتصور ذلك الرأس وعيناهُ متضمنتان تلك الصورة . انتهى

تدبير المنزل

(تابع لما في الجزء السابق)

ان الناظر في ذلك ينبغي ان ينظر في ثلاثة اشيآء اكتساب المال ثم حفظهِ ثم انفاقهِ . فأما اكتسابهُ فينبغي ان تُحذَر فيهِ ثلاثة اشيآء الجور

والعـار والدنآءة . اما الجور فمثل البخس في الوزن والتطفيف في الكيل والمغالطة في الحساب والجحود للحق والدعوى بغير حق وما اشبه ذلك مما يجتمع فيهِ مع الآثام الموبقة انهُ يزيل الاكتساب ويقطع المادّة ويدعو الى الحرمان وذلك لما ينتشر فيهِ من سوء الثنآء فيصرف ذلك المعاملين عن صاحبهِ ويدعو من ابتُلي بهِ منهم ان يخبر بهِ غيرهُ حتى ينقطع عنهُ من عاملهُ ومن لم يعاملهُ حتى انهُ لو اقلع عن ذلك لم ينتفع باقلاعهِ للامر الذي شاع لهُ وشُهر بهِ . وأما العار فمثل الشتم والصفع وما اشبه ذلك من الامور التي يحتملها بعض النـاس لشيء ينالهُ ممّن يفعل ذلك به . وأما الدنآءة فأن يدع الرجل الصناعة التي كان آباؤهُ واهل بيتهِ يعالجونها من غير عجزٍ عنها الى صناعةٍ اخسّ منها كالرجل يكون آباؤهُ واهل بيتهِ اما قادة جيوش واما ولاة ثغور فيدع طلب ذلك وهو يقدر عليهِ ويقتصر على الغنآء والزمر وما اشبه ذلك . ولسنا نقول فيمن كان آباؤهُ في صنـاعةٍ خسيسة فأقام عليها انهُ قد اتى دنآءةً من الامر او فعل ما ينبغي ان يُذَمّ عليهِ لكن نقول انهُ محمود اذ رضي بحظّهِ ولم يتعدَّ طورهُ ولو كان واجباً على كل انسان ان يطلب صناعةً فوق الصناعة التي ورّثهُ ابوهُ لوجب ان يقصد الناس كلهم الى صناعةٍ واحدة وهي اعلى الصناعات فكان ذلك يُبطل سائر الصناعات وكانت تلك الصناعة ايضاً التي يقصدون اليها تبطل لانها لا تتمّ الا بالصناعات الاخر اذ كان الجميع مقروناً بعضهُ ببعض كما بيّنا قبل . فهذا ما ينبغي ان يُنظَر فيهِ من باب الاكتساب

وأما باب الحفظ فيُحتاج فيهِ الى خمسة اشيآء . اولها ان لا يكون ما

ينفق الانسان اكثر مما يكتسب فانهُ متى فعل ذلك لم يلبث المال ان يفنى . والثاني ان لا يكون ما ينفق مساوياً لما يكتسب لكن يستفضل ما يكون عُدّةً لهُ لحادثٍ ان حدث او آفةٍ ان نزلت او ضيقةٍ ان كانت وايضاً فان من العدل ان يكون لرأس المال حصةٌ من النفقة . ويشبه حال من فعل ذلك حال البدن الذي هو في النشء والنماء ويشبه حال من كانت نفقتهُ مساويةً لكسبهِ حال من انتهى نشؤهُ وانقطع نموّهُ فاما حال من ينفق اكثر مما يكتسب فانها تشبه حال الابدان الهرِمة التي لزمها النقص ودبّ فيها الفناء . وذلك أن البدن الذي هو في النشء والنماء يغتذي باكثر مما يتحلل منهُ والبدن الذي قد انتهى نماؤهُ يغتذي بمقدار التحلل والبدن الذي قد صار الى الهرم قريبٌ من الموت فكذلك المال الذي يؤخذ منهُ اكثر مما يزاد فيهِ سريع الى النفاد . والثالث مما يُحتاج اليهِ في حفظ الاموال ان لا يمدّ الرجل يدهُ الى ما يعجز عن القيام بهِ كالرجل يَشغَل مالهُ في ضيعةٍ لا يقوى على عمارتها او في ضياع متفرّقة لا يمكنهُ مباشرتها وليس لهُ من يعينهُ على القيام بها او يتخذ من الحيوان ما تجاوز النفقة عليهِ مقدار ما تبقّى من مالهِ . وحال من فعل ذلك تشبه حال الشَرِه الذي يا كل ما لا يستمرئهُ فكما أن من اكل ما لا يستمرئهُ لا يغذوهُ بل ربما خرج منهُ واخرج معهُ من بدنهِ ما يضرّ بهِ خروجهُ فكذلك من تعاطى من الاكتساب ما يتجاوز طاقتهُ كان وشيكاً ان لا يفوتهُ الربح فقط دون ان يذهب رأس مالهِ . والرابع مما يُحتاج اليهِ في حفظ المال ان لا يشغل الرجل مالهُ في الشيء الذي يبطئ خروجهُ من يدهِ وانما يكون ذلك في الشيء الذي يقلّ

طلاّبهُ لاستغنآء عوامّ الناس عنهُ كالجوهر الذي لا يحتاج اليهِ الا الملوك وكتب العلم التي لا يطلبها الا العلمآء . والخامس مما يُحتاج اليهِ في حفظ المال ان يكون الرجل سريعاً الى بيع تجاراتهِ بطيئاً عن بيع عقاراتهِ وان قل ربحهُ في ذلك وكثر ربحهُ في هذا

وأما انفاق المال فينبغي ان يُحذَر فيهِ خمسة اشيآء وهي اللؤم والتقتير والسَرَف والبدخ وسوء التدبير . فأما اللؤم فهو الامساك عن الانفاق في ابواب الجميل مثل مؤاساة القرابة والافضال على الصديق وذوي الحرمة والصدقة على المحاويج بقدر ما يمكنهُ ويتسع لهُ . وأما التقتير فهو التضييق فيما لا بدّ منهُ مثل اقوات العيال ومصالحهم . وأما السرف فهو الانهاك في الشهوات واللذات . وأما البدخ فهو ان يتعدّى الرجل ما يتخذهُ اهل طبقتهِ طالباً للمباهاة . وأما سوء التدبير فهو ان لا يوزّع الرجل نفقتهُ على جميع ما يحتاج اليهِ بالسوآء حتى يصرف الى كل باب منها بقدر استحقاقهِ فانهُ اذا لم يفعل ذلك واسرف في واحدٍ ونقص من الآخر كانت امورهُ غير مشاكلٍ بعضها بعضاً واضطُرّ ان لا يتخذ الشيء في وقت الحاجة اليهِ . فاللئيم يؤتى من قِبَل انهُ لا يعرف الجميل وما فيهِ من الفضيلة . والمقتر يؤتى من قبل انهُ لا يعرف الواجب وما في تركهِ من النقص . والمسرف يؤتى من قبل ايثارهِ اللذّة على صواب الرأي . فاللئيم والمقتر ممقوتان عند الله لانهما على طرف من الجور والمقتر خاصّةً فانهُ أجوَرُهما . والمسرف مذموم ممقوت ومن مقتهُ الناس او ذمّوهُ لم يكن لهُ في مجاورتهم خيرٌ ومن لم يجاور الناس فقد صار في عداد الاموات . الاّ ان صاحب البدخ اسوأ حالاً وذلك لان اللئيم

والمقتر وان كان الناس يمقتونهما فانهما على حال يربحان حفظ اموالهما والمسرف وان كان مذموماً فانهُ يربح التمتع بلذّاته واما صاحب البدخ فانهُ لا مال يحفظهُ ولا لذة يتمتع بها . واسوأهم جميعاً حالاً من كان سيئ التدبير وانما يؤتى من قبَل انهُ لا يعرف مقادير النفقة ولا اوقاتها . فمن عرف ابواب الجميل ورغب فيها وعرف ابواب الحقّ واوجبها على نفسهِ واقتصد في الانفاق على لذّاتهِ ولم يتعدَّ ما يفعلهُ اهل طبقتهِ وعرف ما يستحقّ كل باب من الابواب مما يحتاج اليهِ وانفق فيهِ بقدر استحقاقهِ ولم يزد في باب فيُضطرّ الى تقصير في الآخر وعرف اوقات الحاجة الى كل شيء فلم يُقدِم على اتخاذ شيء قبل وقت الحاجة اليهِ فيفسد او يضيع الى ان يحتاج اليهِ ولم يؤخر شيئاً حتى يفوت وقت الحاجة اليهِ فيصير اتخاذهُ لهُ بعد ذلك باطلاً او يعزّ عليهِ فلا يجدهُ الاّ بالغلاء فمتى لزم الانسانُ ما ينبغي من فعلٍ وترك فحينئذٍ يُنسب الى الكرم والسخاء والاتساع والمؤاساة والقصد والحرّية وحسن السيرة والعيش . ومن كان كذلك فاذا كانت غلّتهُ او ربح مالهِ يقوم بنفقتهِ على مصلحة بدنهِ ومؤونة عيالهِ ويفضل لهُ عن ذلك ما يصرف بعضهُ في مؤاساة قرائبهِ واصدقائهِ واهل الحرمة بهِ وبعضاً على فقرائهِ ومساكينهِ ويدّخر بعضاً ليستظهر بهِ على دهرهِ ونوائبهِ فينبغي لهُ ان لا يطلب اكثر من ذلك فان الطلب لاكثر منهُ شرَه وهذا هو الحدّ الذي لا ينبغي للحرّ ان يتعدّاهُ فان تعدّاهُ نُسب الى الشره . فهذه حال المال والتدبير في اكتسابهِ وحفظهِ وانفاقهِ

(ستأتي البقية)

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا (ب م)

(تابع لما في الجزء السابق)

اما البهيمة فليس لها علم ولا صناعة الا ما دفعها اليهِ الطبع من اول امرها ولا تزيد عليهِ بتقدم او نجاح لانها تولد عارفة بكل ما تحتاج اليهِ وقادرة عليهِ فلا تحتاج الى مربٍّ ولا معلم فانها تسعى حالاً في طلب الرزق ولا تخطئ لحكمةٍ فُطرت عليها فلا تزيد عليها مهما طال الزمان . ولا ريب ان هذا العجز ناشئٌ عن عدم اقتدارها على التقليد العقلي او التمثيل لانها لا تدرك من المحسوسات الا ما اثر فيها اي لا تدرك من المرئيات الا ما اثر في بصرها ومن المسموعات الا ما اثر في سمعها فلا تدرك منها سرًّا خفيًّا ولا معنًى كليًّا فان الانواع الداجنة قريبة الى الانسان تسمع كلامهُ وترى اعمالهُ من قبل زمن التاريخ ولم تتعلم منهُ شيئًا واذا حاول ان يعلمها غلبتهُ غريزتها ولم يؤثر فيها علم ولا تربية لانها ليست اهلاً لذلك وان اثر فيها فانما يؤثر في افعالها بالشدة عليها من خارج لا بالطبع من داخل ويصلحها كما يصلح اغصان الشجر وحينئذٍ فيكون الفضل لهُ لا لها ولذلك اذا تركها عادت الى اصلها ورجعت الى طبعها كما ترجع القوس الى حالها اذا ارتخى الوتر الذي يشدها وهو دليل ظاهر على ان المبدأ الفاعل فيها خارج عنها

والنتيجة ان الافعال التي تأتيها البهيمة عن معرفة جزئية محسوسة كما تقدم لا تفعلها عن تعقل وروية اذ لا تدرك نتيجتها اي لا تدرك العلاقة اللازمة بين فعلها وما يأتي عنهُ لان ذلك امرٌ معنويٌّ لا تأثير لهُ في الحواس

وليس لها قوةٌ تدرك بها غيرها ولذلك تؤثر فيها الظواهر لا الحقائق والحكمة التي تبدو فيها ليست منها ولا تنسب اليها بل الى من وضعها فيها فالبهيمة اذاً محصورة في دائرة جزئية لا تخرج منها ابداً

واما الافعال الادبية فلا ريب ان الدين والآداب امران متلازمان في الانسان لا يفترقان لان من اول وجدانياته عرفانهُ نفسهُ بكونهِ موجوداً فاول ما ينتقل اليهِ ذهنهُ ان لهُ خالقاً ابدعهُ واذ كان يدرك العالم المنظور بحواسهِ فلا يتردد في ادراك وجود علةٍ لهُ ويستدل بعقلهِ على صفاتهِ اللازمة من القدرة والحكمة والكمال بالذات والافعال والصلاح والعدل وما شاكل ويدرك من ثم انهُ رسمٌ ضعيف من حقيقة وجودهِ او شرارة من نور كمالهِ وانهُ يجب عليهِ ان يتقرب اليهِ بعمل الخير والسعي فيهِ وان لا بد من المسألة والحساب وعقاب من يستوجب العقاب والجزاء بالخير لمن يقصد الخير وغير ذلك من المبادئ الدينية الكلية . ولا ينكر ان هذه المبادئ ليست واحدةً في وضوحها لدى كل انسان الا انها لا يخلو الانسان منها بالاطلاق مهما كان جاهلاً منحطاً فعلى هذه المبادئ الراسخة في نفسهِ الواضحة لعقلهِ نشأت آدابهُ الظاهرة وشرائعهُ الاجتماعية التي هي عبارة عن حقوقهِ وواجباتهِ وبناءً على ذلك يكون الانسان ديّناً باطناً وان كفر ظاهراً واديباً طبعاً وان فسد عملاً

اما البهيمة فاذ ليس لها قوةٌ مفكرة فلا تقصد في اعمالها غايةً ولا تفقه معنى امر ولا نهي وليست حرة في اعمالها لتتصرف فيها فالشريعة كلها لها لا عليها فهي لا تطلب حقاً ولا تقوم بواجب ادبي اي لا شريعة عندها الا

الغريزة التي رُكّبت فيها وفُطرت عليها فان المحبة الوالدية والغريزة الاجتماعية والمحبة الجنسية لا تخرج فيها عن كونها غريزة يدفع اليها الطبع كالالفة الكيماوية لا تأتيها عن قصد وتعقل اذ ليس عندها مبادئ كلية ادبية تقيس عليها ولا لها قوة عقلية تتصرف فيها لترعى واجباً او ذمةً فهل يُظنّ ان الفرس يقصد التأديب اذا رفس وان الوحش يقوم بالواجب عليهِ اذا افترس وان اناث النحل تجاهد في سبيل الله اذا قتلت ذكورها او تقصد الصيانة والتعفف. هذا ولا ينكر ان الانسان كثيراً ما يزيد في اعمالهِ فساداً على اعمال الحيوان ومع ذلك لا يزال لهُ ضمير يحكم على فسادهِ فهو ابداً يأمر بالخير ويسر بفعلهِ وينهى عن القبيح ويندم على عملهِ كما انهُ اذا اخطأ عرف خطأهُ وغلطهُ وعاد الى صوابهِ حكماً او عملاً

والنتيجة ان المبدأ العاقل في الانسان يختلف كل الاختلاف عن المبدأ الحساس بدليل الوجدان وادراك الكليات الاولية وفعل التجريد والحرية مما لا حظَّ فيهِ للبهيمة مطلقاً ولا دليل ظاهر على تعقلها في لغتها لا لفظاً ولا معنى ولا في اعمالها بتقدم او نجاح ولا بعلم ولا صناعة ولا شريعة ولا آداب اذ لم تخرج عن حد الطبع الذي رُكّب فيها بقوة اقوى من الحديد فلا يقدر ان يخرجها الانسان عنهُ بعقلهِ ولا يؤثر فيها ادب المؤدب ولا تعليم المعلم مع ان الانسان لم يزل يعتني بتربيتها من قديم الزمان فالببغاء لم يتعلم منهُ معنى الكلام ولا تعلم منهُ الكلب الصيد ولا الثور فن الزراعة ولن يزال الحمار حماراً بطبعهِ صابراً على ذلهِ والاسد وحشاً ضارياً لا يتمدن ولا يأنس الى ما شاء الله

مطارحات

وردتنا عدة منظومات اجابةً للاقتراح الذي نشرناهُ في الجزء السادس من مجلد هذه السنة (صفحة ١٨٧) فاخترنا منها الموشح الآتي لحضرة الفاضل الالمعيّ الشاعر الناثر احمد افندي ابي علي الازهري امين المكتبة البلدية بالاسكندرية قال حفظهُ الله

يا أيها الناس انظروا واعجبوا　　مما ترينا قدرة الصانعِ
هذا وداع الشمس اذ تغربُ　　وذا لقآء القمر الطالعِ

***

قد همَّ ان يرقى مليك النهارْ　　سريرَهُ العاليَ للاضطجاعْ
فخفَّ عن مركبهِ بالوقارْ　　متئّداً يهدي سلام الوداعْ
حتى اذا وارتهُ خلف الستارْ　　اغشيةُ الغيم بكل اتضاعْ
تبينت اطرافها تلعبُ　　من فوق هذا المضجع الساطعِ
هدَّابُها منتشرٌ مُذهبُ　　إهابُها كالحجر الناصعِ

***

تزهو فتهدي للفضا باللهبْ　　أشعَّةً في صبغة الأُرجوانْ
تُشبهُ مصباحاً بدا من ذهبْ　　معلقاً بين الفضا والعَنانْ
في قبةٍ من لازَوردٍ عجبْ　　بها استقلَّ القمر الاضحيانْ
فوق شفا منظورهِ يدأبُ　　كأنَّ خطَّ الأُفق الشاسعِ
حبلٌ وقد أمسكهُ يجذبُ　　مرتجحاً في ملعبٍ واسعِ

***

وبثَّ اشعاعاتهِ الواهيَه توسدت مرج الرّبى باعتلالْ
والليل أرخى السُّتُرَ الداجيه على سفوح الشمّ شمّ الجبالْ
ومدّ في جوانب الاوديَه ما مدّ من تلك الستور الطوالْ
أودَعَ ذاكَ المنظر المعجبُ في خَلَد الطبيعة الخاشعِ
ما هزّها فاتجهت تُعرِبُ عن حمدنا للعالِم السامعِ

***

يرفعها لسانها النّيِّرُ لخالق الليل وربّ النهارْ
بذلك الشعر الذي يندرُ وذلك الوصف وذا الإفتكارْ
بكرٌ ولكن ليس يُستكثرُ على «لمرتينِ» ابي الإبتكارْ
يا شعرآء العصر لا تغضبوا هل فيكمو من شاعرٍ بارعِ
يعاف ما مرّ ويستعذبُ ورودَ هذا المشرع النابعِ

اسئلة واجوبتها

كفرابي نجاح ـ ارجوا اجابتي في ضيائكم المنير على السؤالين الآتيين

(١) ما هو تعريف الانتقاد في اللغة وفي اصطلاح الكتّاب وما هي الشروط التي يجب مراعاتها فيهِ

(٢) ما هو تعريف القصة في اللغة وفي اصطلاح اهل الفنّ وما هي قواعد تأليفها

احمد الصراف

ملاحظ البوليس بكفرابي نجاح

الجواب ـ اما الانتقاد فمأخوذ من انتقاد الدراهم لتمييز جيدها من رديئها ويراد بهِ في العُرف فحص شيءٍ من المصنوعات اللسانية او اليدوية لادراك حسناتهِ وعيوبهِ . ولم نجد في العرب من تكلم على هذا الفن ولا من افردهُ في كتاب انما جلّ وظيفة الناقد على ما رأينا من صنيع اكثرهم ان يسوّئ على من ينتقد كلامهُ ما استطاع ويزيّف كل حسنةٍ لهُ حتى تنقلب سيئةً وذلك كما فعل الخفاجي فيما سماهُ شرحاً لدرَّة الغوّاص او ان يكون على عكس ذلك فيحتال في تخريج كل وهم يسقط عليهِ في كلامهِ وتسديد كل هفوةٍ تبدر منهُ كما فعلهُ اكثر شرّاح الكتب العلمية من اقامة انفسهم مقام الخُدَّام للمتن فيأخذون في التوجيه والتأويل وتمحل الاصابة فيما هو ظاهر الغلط . ولا يخفى ان كلاًّ من هذين الطرفين من دواعي التضليل وستر وجوه الحقائق تحت براقع التمويه وفيهِ من الاضرار بالمستفيد وافساد قواعد العلم والذوق ما لا يخفى على الاريب

اذا تقرَّر ذلك فمن البديهي ان اوَّل شروط المنتقد ان يكون خبيرًا فيما ينتقدهُ بصيراً بحسناتهِ وعيوبهِ لئلا يرسل الكلام عن مجازفةٍ وخبط ويخلط بين الحسنات والسيئات متمكناً من اقامة البرهان على ما يحكم بهِ او عرضهِ على قياس العقل والذوق الصحيح كما فعل ابن خلدون في انتقاد بعض اقوال المؤرخين وكما فعل الآمديّ في الموازنة بين ابي تمام والبحتري وصاحب المثل السائر في المفاضلة بين كلّ من هذين وأبي الطيب المتنبي والاّ رُدَّ انتقادهُ عليهِ وعُدَّ جاهلاً او متحاملاً

والشرط الثاني ان يكون بعد علمهِ بحقيقة ما ينتقدهُ منصفاً فيما يقولهُ

لا يغمط احسانًا ولا يموّهُ اساءةً فلا يدعي للمنتقد عليهِ اكثر مما لهُ ولا يبخس المحسن اشياءهُ فان ذلك من اعظم مفاسد العلم بما يبعث عليهِ من الاستخفاف بالعلميات واهمال التحرّي والتحرّز او من الانقباض عن العمل والاستسلام للقعود والقنوط وبما يؤدي اليهِ من خلط الحقائق على من لا أداة عندهُ للحكم فيضيع الحق وراء حجب الهوى وشُبَه الاغراض

والشرط الثالث ان يتجافى المنتقد عن الغلوّ في المدح والاطراء عند ايراد الحسنة او القدح والازراء عند ايراد السيئة فان ذلك يؤدّي الى الريب في شهادتهِ ويبعث على اتهامهِ بشبهة التشيع او التحامل فيُنْبَذ كلامهُ وتسقط الفائدة المقصودة من نقدهِ

والرابع ان لا يخلط بين ما يرى من صنيع الشخص الذي جعلهُ محلاً لانتقادهِ وما يعلم او يظن من حالهِ في خاصة نفسهِ فان وظيفتهُ في تلك الحال ان ينتقد الكلام من حيث هو كلام لا من حيث ان قائلهُ فلان فكم من الناس من تظنهم عند الذكر والسمعة شيئًا وتراهم عند ما تبلو اقوالهم وعقولهم شيئًا آخر

والخامس ان لا ينظر الى ما بينهُ وبين من ينتقد كلامهُ من السوابق الشخصية من مودّةٍ او موجدة لان انفعال النفس بالشخص يحول دون ادراك البصيرة واصابة حكمها بحيث يصير الانتقاد تعصبًا او تعنتًا وهو احد عيوب النقد عندنا بل أعظمها وأشيعها واكثرها إضرارًا بالعلم والآداب حتى ترى المنتقد بينا يتكلم في العبارة مثلاً اذ يخرج الى ذكر العيوب الشخصية مما لا دخل لهُ في تلك الحال فيعود الانتقاد ضربًا من الشتم والانتقاص

وتضيع الحقيقة المقصودة من هذا الفن الجليل والله أعلم

وأما القصة فهي مأخوذة من قصّ الخبر والحديث اذا ساقهُ وأوردهُ بحسب وقوعهِ وأصلهُ من قصّ الاثر واقتصَّهُ اذا تتبعهُ شيئًا بعد شيء فالقصة في الاصل بمعنى الخبر ثم نُقلت الى القصة التي تُكتب . هذا محصّل ما في كتب اللغة ولا يخفى ان المعنى الاخير هو المراد من القصة في الاصطلاح وتعرَّف بأنها سياقة حوادث متصلة ترجع الى شخص او اشخاص يدور ما فيها من الحديث عليهم. وأما قواعد تأليفها فيتُصوّر اوّلاً موضع النكتة منها وهو الحادث الذي تساق وقائعها اليهِ ثم يُنظَر في ترتيب تلك الوقائع فيوطَّأ لها بذكر الاشخاص الذين تمَّت على ايديهم وتعريف صفاتهم وأخلاقهم ثم يُشرَع في ايراد الوقائع بحسب ترتيبها الطبيعي في التقديم والتأخير الا عند غرض كارادة تزيين بعض الحوادث او قصد تمكينها في الذهن فيقدَّم ما حقهُ التأخير ويُجرَى في الحديث من المسبَّب الى السبب ومن النتائج الى المقدمات. وهذه طريقة اكثر مؤلفي الافرنج فانهم كثيراً ما يبدأون القصة من أثناء حوادثها وربما بدأوها من آخرها ثم ساقوها حتى يأتوا على اوَّلها الا انهم ربما افرطوا في ذلك حتى يخرج عن حدّ القبول وهذا انما يحسن في حشو القصة وفي جزئيات الحوادث لا في مجمل القصة والا استوحشت منها النفس وتعب السامع في ردّ كل واقعٍ منها الى موقعهِ حتى تتحصل له صورتها الطبيعية

وأما سائر احكامها فلا سبيل الى استيفائها في هذا الموضع لاختلاف ضروب القصص وتباين اغراضها ومناحيها لكن نقول بالاجمال انهُ لا بد

ان يراعَى فيها ما يراعى في سائر ضروب الانشآء من الجري على اصول البلاغة التي هي مراعاة حال المطالع في صوغ العبارة واختيار طبقة الكلام. ومما يُستحَبّ فيها ان لا تكون مفرطة الطول ولا وقائعها كثير التسلسل والاشتباك ولا تتعدد فيها الاشخاص الى ما يفوت حفظ المطالع او يجهد ذاكرتهُ وأن لا يُذكَر فيها شخصٌ او حادثٌ الا ولهُ تعلقٌ بشيءٍ من مقدماتها او نتائجها تفادياً من تشويش ذهن المطالع على غير فائدة . ولا بدَّ فيها من ذكر حادثةٍ يتشوَّق المطالع الى الوقوف على مصيرها من تعرُّض بعض اشخاصها لامر مخوف او مجاذبتهِ لأُمنيَّةٍ خطيرة مما يستوقف النفس بين الخوف والرجآء الى ان تسفر خواتمها عما تنتهي اليه.

ومن المحسّنات فيها ان ينتقل الكاتب من حديثٍ الى حديث فلا يتبع سياقاً واحداً اتقآءً لملل المطالع وان كان السياق طويلاً في نفسهِ حَسُنَ ان يتخللهُ بشيءٍ يصرف الفكر الى غير جهتهِ لكن بشرط ان لا يكون الحديث المعترَض بهِ طويلاً لان النفس تنتقل اليهِ وهي مشغولةٌ بالحديث السابق فاذا طال كثيراً أبطأ عليها الرجوع الى استتمام ما كانت فيهِ فضاع بذلك رونق السياق وأثر في نفس المطالع اشمئزازاً ونفوراً

وهناك جهاتٌ اخرى يتفطن لها اللبيب اضربنا عن استيفائها لضيق المقام وفي القدر الذي ذكرناهُ كفايةٌ لذي الذوق السليم

غزة - بينما كنت اقلّب كتاب شعرآء النصرانية الذي جمعهُ الاب لويس شيخو وجدتهُ يروي (ص ٤٤٢) لعديّ بن زيد هذين البيتين

ايهـا الركب المخبو　　نَ على الارض المجدّونا

كما انتم كذا كنـّا　　كما نحن ُ تكونونا

وهما مختلفا الوزن كما ترونهما لكن حضرة الاب يقول هنالك انهما من بحر الرَمَل ومع أن الاول قريبٌ من الرمل فالثاني لا يمكن ان يكون منهُ لان اجزآءهُ تنحلّ الى مفاعيلن والرمل يتألف من فاعلاتن . ثم ان البيت الاول مع مشابهته للرمل لا ينطبق على شيء من الصور المستعملة فيـهِ لانا اذا قطَّعناهُ جاء هكذا

أَيْيُهَرْرَكْ . بِلْمُخْبِبُو　نَعَلَلأَرْ . ضِلْمُجِدْدُونَا

فاعلاتن . فاعلاتن　فعلاتن . فاعلاتنتن

وهذا الضرب غير مسموع في هذا البحر فكان الصواب ان يُروى المجدّون بسكون النون حتى يجيء على فاعلاتان لكن يبقى الاشكال في توافق البيتين على وزنٍ واحد فما الصواب في ذلك　　مشترك

الجواب ـ البيتان من الهزَج لا من الرَمَل ووزنهما مفـاعيلن اربع مرات الا ان البيت الاول مخزوم والخزم زيادةٌ في اول الشطر خارجة عن الوزن وهو واقعٌ هنا بحرفين وهما الهمزة والياء المدغمة من « ايهـا » فاذا اسقطت اعتبارهما من البيت استقام وزنهُ وهذه صورة تقطيعه

(أَيْ) يُهَرْرَكْبُلْ . مُخْبِبُونَ　عَلَلأَرْضِلْ . مُجِدْدُونَا

ـ مفـاعيلن . مفاعيلُ　مفاعيلن . مفـاعيلن

فكاهات

رواية

العدل (١)

روي انهُ كان في بلاد الانكليز في اواخر القرن الماضي رجلٌ من النبلاء يقال لهُ السير يوسف براندون وكان واسع الثروة كثير العقار معروفاً بالنبل والفضل والاحسان فعاش عمراً طويلاً انفق جلّهُ في اعمال الخير وتوفي عن ولدين يقال لهما يوسف ووليم فاوصى للاول بكل مالهِ وترك للثاني مبلغاً لا يزيد عن خمسة آلاف ليرة فان الشريعة الانكليزية كانت تقضي بانتقال معظم الارث من الاب الى اكبر اولادهِ الذي يُعتبر عندهم ممثّل كرامة الاسرة وحافظ شهرتها ومجدها وكانوا يوصون لبقية الاولاد بمبالغ طفيفة تساعدهم مع ما احرزوهُ من العلم على نيل اسباب المعيشة المعتدلة

وبعد ان توفي الوالد لبث يوسف اكبر الولدين مقيماً في بلدتهِ واتخذ على نفسهِ تدبير العقارات والمقتنيات الكثيرة التي خلفها لهُ والدهُ وكان قد تزوج في صباتهِ بفتاة كريمة الاصل بديعة الجمال بالغة حد التهذيب واللطف والرقة فرُزق منها ابنة ثم توفيت على اثر النفاس تخلّفت لهُ حزناً عظيماً فلبث بعدها منقطعاً بنفسهِ معتزلاً معاشرة الناس الاّ في وقت الضرورة

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

وصرف همهُ الى العناية بابنتهِ وسماها لوسيا باسم امها فكانت سلوتهُ الوحيدة

اما وليم فأخذ ما اصابهُ من ثروة والدهِ وسافر الى قريةٍ بعيدة وكان قد درس علم الحقوق حتى برع فيهِ فشرع يتعاطى صناعة المحاماة وقد صمم ان لا يفتر عن السعي والاقدام حتى يفوز بمقامٍ عالٍ لانهُ كان مولعاً بالعظمة والسؤدد فمرّت بهِ بضع سنين وهو يجدّ ويكدّ ويقارع الايام وينازل الحوادث فلم يرفعهُ اجتهادهُ في سلم الارتقآء الا درجاتٍ قليلة

وفي ذات يوم دُعي وليم الى مأدبة في منزل احد وجهآء البلدة التي اتخذها مقاماً فابصر هناك ابنةً لرب البيت اسمها جوليا وكانت على جانب عظيم من الجمال واللطف والرقة فمال قلبهُ اليها ولم يكن يعرف الحب قبلاً فما عتم ان صار ذلك الميل شغلاً شاغلاً واشتد الوجد في فؤادهِ حتى أنساهُ الغاية التي كان يسعى ورآءها. واخيراً عزم ان يقترن بالفتاة ويذهب بها الى قرية معتزلة فيسكنان فيها منقطعين عن الناس واقفين حياتهما للحبّ الخالص

ولما قرر وليم عزمهُ على الزواج طلب الفتاة من ابيها فأجابهُ وكانت جوليا قد اصابها من حبهِ ما اصابهُ من حبها فاقترن بها وفرَّغ فؤادهُ من كل عاطفة الاّ الحبّ فعاش مع عروسهِ سنةً كانت اسعد من ايام حياتهِ ورُزق منها غلاماً

الاّ ان عواطف حبّ الجاه والرفعة لم تخمد في صدر وليم بل كانت كامنةً بازآء عاطفة الحبّ لغلبتها عليها فلم يمضِ عليهِ ثمانية عشر شهراً من زواجهِ حتى عادت اليهِ آمالهُ القديمة بقوة عظيمة ولا سيما لانهُ كان يودّ ان يترك لولدهِ اسماً عظيماً وإرثاً كبيراً فعاد الى حالتهِ الاولى من

السعي والدأب واعداً نفسهُ بالفوز ونيل الاماني

واتفق ذات يوم ان وليم كان جالساً امام نافذة غرفتهِ فرأى كوكبة من الفرسان مارّة على الطريق امام منزلهِ وهم يتحادثون ويضحكون وفيما هم كذلك اذا بجواد احدهم قد كبا فسقط براكبهِ على الارض وللحال ترجل الباقون عن جيادهم واسرعوا الى الساقط لينهضوهُ وكانوا ينادونهُ « يا سيدي اللُرد » فوجدوا ان عظم ركبتهِ قد انكسر فلم يستطع ان يتحرك لشدة آلامهِ. فلما سمع وليم لفظة لُرد اسرع فنزل الى الطريق ولما رأى اللرد على تلك الحال عرض عليهِ ان يحملهُ الى منزلهِ واذ لم يكن في تلك القرية الصغيرة مأوًى يليق برجل نبيل كاللرد لم يسعهُ الا الاجابة فنقلهُ وليم الى غرفتهِ والقاهُ على سريرهِ واستدعى في الحال احد مشاهير الجراحين من بلدةٍ مجاورة فجاء وفحص الكسر فظهر لهُ ان الامر خطير وشرع للحال في معالجة اللرد وقضى عليهِ بالبقآء في المنزل ثلاثة اشهرٍ ومنعهُ من الحركة واكّد لهُ ان الانتقال من هناك يزيد الحال خطراً وربما يفضي الى قطع الساق

وكان هذا اللرد من اعاظم نبلآء الانكليز المقرَّبين من ملكهم وكان اسمهُ اللرد ڤرغراف ولم تكن سنهُ في وقت الحادثة تزيد على الثلاثين فلبث في بيت وليم وسرّ مما لقي من الحفاوة والاكرام. وكانت زوجة وليم تدخل اليهِ حين يذهب رجلها لقضآء اشغالهِ فتسليهِ باحاديثها وتقرأ لهُ بعض الاخبار المضحكة لكي تهوّن عليهِ صعوبة الأسر في فراشهِ

اما اللُرد فآنس في تلك السيدة رقةً ولطفاً وادباً وجمالاً فمال قلبهُ اليها واحبها كثيراً ولما اوشكت الثلاثة الاشهر ان تنقضي اغتمّ جدًّا وودّ لو يبقى

زمناً اطول في منزل وليم لكي يتمتع بمغازلة جوليا وحدثته ُنفسهُ ان يستميلها اليهِ لكنهُ وجد من عفافها وطهارة نفسها ما حال دون مرامهِ وان كانت المرأة لم تنجُ من وهدة الغرام التي أُلقي فيها

وفي اثناء هذه المدة كاشف وليم اللرد بما في نفسهِ من حب الشهرة والابهة وسألهُ المساعدة في ادخالهِ في سلك القضاة فوعدهُ اللرد بالاجابة وشرع وليم يبني قصوراً شاهقة من الآمال المقبلة

ولما تمَّ شفاء اللرد أراد الخروج من منزل مضيفهِ وكانت ظواهرهُ تدل على حبهِ الشديد لربَّة المنزل ولم يخفَ ذلك عن عين وليم النقادة فاغتاظ جدًّا وأحرقتهُ نار الغيرة ولكنهُ كظم الغيظ وشيَّع اللرد الى العربة متلطفاً معهُ في الكلام ومذكراً اياهُ بوعدهِ

وبعد ذهاب اللرد بأيام كان وليم نائماً في فراشهِ بجانب زوجتهِ وبينهما ولدهما ادورد فسمع زوجتهُ تمتم فانتبه وأصغى الى ما كانت تقول في نومها فسمعها تذكر اسم اللرد فرغراف وللحال ثار غيظهُ حتى أصابهُ نوعٌ من الجنون وظن انها قد خانتهُ فلم يستطع صبراً وخطر لهُ ان يقتلها على فراشها ولكنهُ عدل عن ذلك ونهض لساعتهِ فلبس ثيابهُ وأخذ كتبهُ وأوراقهُ ونقودهُ وحمل طفلهُ وخرج من البيت فاكترى عربة وسافر الى بلدةٍ اخرى

وفي الصباح نهضت جوليا من نومها مرعوبة لانها لم تجد زوجها ولا ولدها وانما وجدت رقعة على مخدَّتها فقرأت فيها ما يأتي

« لقد اطلعتُ على خيانتكِ ونمَّت شفتاكِ بسرِّكِ الاثيم فسأنتقم

منكِ بأن آخذ ولدكِ وأخفيهُ عنكِ وسأجعل حياتكِ حملاً عليكِ لانكِ لن تري فلذة كبدكِ بعدالآن واياكِ ان تحاولي اتباعي فاني لن أقبلكِ في بيتي وكفى ان أقول لكِ انكِ خائنة وهذا عقابي لكِ وليم »

ولا نستطيع وصف ما خامر فؤاد جوليا بعد قرآءة هذه الرسالة فانها علمت انها ذهبت ضحية شكوك زوجها ولما وجدت نفسها وحيدةً شعرت ان ناراً تحرق احشآءها وحنت ضلوعها الى طفلها فذهبت تبحث عنهُ فلم تقف لهُ على أثر وبلغ منها الغيظ لاتهام زوجها لها بالخيانة فجالت من مكانٍ الى آخر ومن قرية الى اخرى حتى علمت اخيراً ان زوجها ساكن في بلدةٍ قريبةٍ وانهُ استقدم مربية للاعتنآء بولدهِ. واذ كانت موقنة ان زوجها لا يسمح لها بدخول بيتهِ ولا يريها وجه طفلها عزمت على ان تسرقهُ فاستدعت اثنين من اللصوص ودفعت اليهما مبلغاً من المال فدخلا ليلاً بيت وليم وسرقا الطفل وسلّماهُ الى والدتهِ فهربت بهِ الى بلادٍ بعيدةٍ . واذ لم يكن معها من النقود الاَّ مبلغ يسير اكترت غرفة في نزلٍ حقير كان يأوي اليهِ جماعة من السكيرين واللصوص وعاشت هناك مع ولدها عيشة محفوفة بالمكاره والمخاطر

. . . .

مرَّت على هذه الحادثة عشرون سنة وأصبح وليم رئيس قضاة بلادهِ ولم يبقَ امامهُ الا درجةٌ واحدة لبلوغ قمة المعالي فوعدهُ اللرد ڤرغراف ان يسعى لهُ لدى الملك في ان يُعيّنهُ مستشار المملكة القضآئي. وراق الزمان لوليم وصار عشير الامرآء والنبلآء ولم يكن يكدر عيشهُ الا فقد ابنهِ الذي

لم ينقطع في كل مدة هذه السنين عن التفتيش عنهُ في كل مكان وكانت رجال الشحنة تجوب البلاد وتسأل عن الطفل وأمهِ فلم تهتدِ اليهما

وحدث بعد ذلك الحين ان اللرد ڤرغراف أبصر لوسيا ابنة اخي وليم وكانت قد نشأت فتاةً لم يكن لجمالها ثانٍ في كل تلك البلاد فهام بها وجدًا ولما علم انها ابنة اخي وليم طلب منهُ ان يسعى في زفها اليهِ واشترط عليهِ انهُ لا يسلّم اليهِ الامر الملكي بتعيينهِ مستشاراً قضائياً للملك الا بعد ان يصبح زوجاً للوسيا . فشرع وليم يسعى في اقناع أخيهِ بهذا الزواج حتى أجابهُ اليهِ لكن لوسيا أبت الاذعان لان قلبها كان قد تعلق بحب شاب اسمهُ ادورد وكان مجهول النسب الا انهُ كان حسن الخلقة قويّ البنية كريم النفس شجاعاً حاذقاً وكان ابو لوسيا قد رآهُ مرّتين فسُرَّ منهُ ومال قلبهُ اليهِ فلم يلُم ابنتهُ على هيامها بذلك الفتى الغريب . اما وليم فأبغض الشاب وهو لم يرهُ بعد بغضاً عظيماً لانهُ كان عقبةً في سبيل أمانيهِ فأخذ يهتمّ في ازالة هذا المانع وكان يعد اللرد خيراً ويؤجل المواعيد من وقتٍ الى آخر ريثما تتمّ تدابيرهُ

وكانت قد نشأت في مدينة لندن في ذلك الزمان عصابةٌ من قطاع الطرق فكانوا يسلبون المارة وينهبون المسافرين حتى انهم سلبوا اللرد ڤرغراف كل جواهرهِ وذخائرِهِ الثمينة المتصلة بهِ من أسلافهِ وذلك عند ما كان راجعاً من مصيفهِ الى قصرهِ في العاصمة . وكان لهذه العصابة زعيمٌ يُعرف باسم بولس وكانت الحكومة قد بثت العيون والارصاد في كل مكان للقبض عليهِ وعلى أصحابهِ فلم تفلح

واتفق يوماً ان هؤلاء القطاع سطوا على عربة البريد فسلبوا منها مبلغاً وافراً من القراطيس المالية وفيما هم عائدون اذا بجماعةٍ من الجنود قد أحاطت بهم فوقعت بين الفريقين مناوشة عنيفة انجلت اخيراً عن أسر زعيمهم بولس فيما كان يسعى في خلاص احد رفاقهِ

فسار الجند بالزعيم الى العاصمة وأودعوهُ السجن ولما كملت اوراق التحقيق دُعي للمحاكمة فثبتت جرائمهُ الكثيرة وأنهُ قتل في سطواتهِ بعض المسافرين فحكم الاعضاء عليهِ بالاعدام ووقف رئيس القضاء الذي هو وليم وهو مرتدٍ الالبسة الرسمية كما هي العادة ليقرأ صورة الحكم واذا بضجةٍ على الباب ورجلٍ يحاول الدخول والخفراء يمنعونهُ فوقع نظر وليم عليهِ وللحال عرف انهُ احد الرجال الذين أرسلهم للبحث عن ولدهِ فأمرهم بادخالهِ فدخل وسلم وناولهُ رقعةً مكتوباً فيها «احذر مما انت فاعل يامولاي فان بولس الذي تحاكمهُ الآن هو ابنك ادورد ».

وما كاد وليم يتمّ قراءة هذه الكلمات حتى ظهرت عليهِ علامات الاضطراب وصبغ الاصفرار وجههُ وقد وجد نفسهُ بين عاملين شديدين اما الحكم على ولدهِ واما نقض شريعة البلاد . فارتجف وتململ وحاول الكلام مراراً فلم يستطع ورأى الاعضاء والحضور اضطرابهُ فأخذهم العجب من أمرهِ ولم يدروا ما عرض لهُ . وبعد ان استمرّ على ذلك بضع دقائق وهو يحارب نفسهُ فضَّل حياة الشريعة على حياة ولدهِ ففتح شفتيهِ وقرأ هكذا:

« قد ثبتت يا بولس ذنوبك وظهرت حقيقة جرائمك ظهور الشمس ولم نجد لك عذراً ولا مجالاً للعفو فحكمت عليك المحكمة بالاعدام وفي

صباح غدٍ تُساق الى المشنقة فليرحمك الله »

ثم سقط وليم على كرسيهِ لان رجليهِ عجزتا عن حملهِ . وللحال فُضَّت الجلسة وخرج وليم الى غرفةٍ اخرى ليبدّل ثيابهُ فوردتهُ رسالة برقية من اللرد فرغراف يقول فيها انهُ مع عدد وافر من النبلاء ينتظرون قدومهُ ليبشّروهُ ويهنئوهُ بصدور الارادة الملكية بتعيينهِ مستشاراً قضائياً للملك . فركب عربةً مقفلةً وسار نحو بيت اللرد وكان اللرد جالساً امام النافذة ينتظر مجيء وليم واذا بالعربة قد وقفت امام الباب فنزل مسرعاً لاستقبال صديقهِ فلم يخرج احدٌ منها فتقدم وفتح الباب واذا بوليم ملقىً ميتاً وفي يدهِ ورقةٌ مجعدةٌ قد أطبق كفهُ عليها فأخذها وقرأها واذا هي ورقة الشرطي القائلة ان بولس هو ابن وليم المفقود

فلما وقف اللرد فرغراف على هذا السرّ ورأى ما كان من عمل وليم هزّتهُ الاريحية وكرم العنصر فأراد ان يكافئهُ في مماتهِ بما لم يستطع ان ينيلهُ اياهُ في حياتهِ فأسرع للحال الى حضرة الملك واستمدّ العفو عن بولس الذي هو ادورد بن وليم واتخذهُ بمنزلة ابن لهُ ثم لما تحقق حبّ كلٍّ من ادورد ولوسيا للآخر تنازل عن طلب لوسيا لنفسهِ واحتفل بزفافها الى ادورد وعاش ادورد بعد ذلك في ثروة أبيه محفوفاً برعاية اللرد وارشادهِ ولم يبطئ حتى محا عن نفسهِ وسم ما اشتهر بهِ من السيئات وسلك في طريقة أُسرتهِ الى آخر ايامه